إرهاصات التجديد في العمل المعجمي العربي في رحاب الدراسات المعجمية الحديثة

The implications of innovation in the work of the lexicon of Arabic in the renaissance of modern lexical studies

تاريخ الإرسال: 2018-01-18 تاريخ القبول: 2018-10-19

الطالب: وسعي بشير
ouessai.bachir@gmail.com
تخصص: اللسانيات التطبيقية و تعليمية اللغات
أ.د. عبد القادر رابحي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة – الجزائر

الملخص:

إن الأمة العربية كانت في طليعة الأمم في مجال الإنتاج المعجمي، بخاصة في القرون الأولى التي تلت بزوغ نور الإسلام. في تلك الحقبة ظهرت أشهر المعاجم كالعين للخليل ولسان العرب لابن منظور...كما اشتملت مقدمات بعض المعاجم على كثير من الأفكار الرائدة في المعجمية.

لكن العالم العربي تعرض لكثير من المحن، كانت أشدها عليه القلاقل الاجتماعية، مما أثر سلبا على العمل المعجمي. وفي الوقت ذاته عرف الغرب في عصر النهضة (la renaissance) تحولا اجتماعيا كبيرا. وأصبحت كل من المعجمية والمفرداتية (La lexicologie) من العلوم التي تفرد لها المؤلفات وتدرس فيها المواضيع ذات الصلة بالمعجم، كالتعريف المعجمي، والترتيب المعجمي، المداخل، وغيرها.

ويرجع الفضل في بعث العمل المعجمي العربي من جديد إلى ثلة من اللغويين على رأسهم رفاعة رافع الطهطاوي الذي نقل إلى مصر كثيرا من الأساليب الفرنسية في تعاملهم مع اللغة أثناء تواجده بفرنسا.

الكلمات المفتاحية: المعجمية؛ المفرداتية؛ التعريف المعجمي؛ الترتيب المعجمي؛ المداخل

Abstract

It is generally known that the Arab dictionary has reached a prosperous period on the early centuries following the Islam inception, in that time many famous dictionaries were written as El Ain of El Khalil and The Arab tongue of Ibn Nadhir…etc., and many ideas on lexicography were introduced mainly in the prefaces of some dictionaries.

Then the Arab world was afflicted by enormous difficulties above all the social troubles that had bad consequences on the dictionary field. Meanwhile, in Europe the research was encouraged since the renaissance in lexicology and in lexicography in which for example the studies were very varied; so we could find among many others things : headword arrangement, the form of definition…

Thanks to some Arab scholars, a new vision to the way of producing dictionaries is implemented. Rifa'a al Tahtawi was the first scholar to have been influenced by the French methods in studying language and he returned with all this to Egypt

Keywords: lexicology, lexicography, arrangement, headword, definition

منذ فجر التاريخ أدركت الأمم التي سجلت بصماتها في الحضارة الإنسانية أهمية المعجم كوعاء يحفظ لها تراثها عبر الأجيال؛ فاعتنت به عناية كبيرة، إلى درجة أن بعضهم كان يروي معجم لغته عن ظهر قلب، ومنهم من نظمه شعرا؛ ليسهل رسوخه في الذاكرة، ودوّن بكل الوسائل المتاحة. وهذا ما صنعه الصينيون والهنود والآشوريون واليونان والعرب.

لقد كان للعرب اليد الطولى في مجال العمل المعجمي، ولا ينكر ذلك إلا جاحد؛ فمن يضاهي الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) فيما ابتكر من أعمال جليلة، بخاصة في معجمه العين الذي أثار حسد الحاسدين من عرب وغير

العرب؟ فهناك من أبناء جلدته من نسب قدرا منه إلى الليث بن المظفر(حوالي 180هـ)، ومن المستشرقين من زعم تأثر الخليل بالمعجم اليوناني، وأنى للخليل ذلك وهو الذي لم يكن له أي اتصال باللغة اليونانية؟ وما الخليل إلا غيض من فيض، فالتاريخ المعجمي العربي يغص بأسماء تركت آثارا تثير الإعجاب.

وتتعرض الأمة العربية إلى نكبات؛ فتتدهور الأوضاع الاجتماعية ومعها الإنتاج العلمي والثقافي. وبقي المعجم العربي يجر أذيال الماضي إلى أن جاء عصر النهضة؛ فأفاد المعجميون العرب من المباحث التي طورها الباحثون الغربيون والتي بفضلها بلغ العمل المعجمي عندهم شأوا كبيرا في مدة زمانية قصيرة، وهذا بالنظر إلى القرون التي قضاها المعجم العربي في حالة ركود. لقد أثبتت هذه الأبحاث أن صناعة المعجم لم تعد ارتجالية، وإنما هي ترتكز على أسس علمية تيسر على المعجمي عمله المضني، وتضع بين يدي المستخدم إنجازا يلبي مختلف متطلباته دون أن يحمله أدنى عناء. وأهم مبحث يتناول هذا المجال هو المعجمية (La Lexicographie) (هذا المصطلح قد اختاره أحمد عمر مختار مقابلا للمصطلح الأجنبي)

ومن المعجمية سنحاول أن نقف عند بعض المرتكزات التي أدت إلى النهوض بالعمل المعجمي عند الغرب.

1 – نشأة الفكر المعجمي عند الغرب

لقد صحب النقد المعجمي عند الغرب نشأة أوائل المعاجم، أي منذ القرن السادس عشر الميلادي. ولم يكن هناك اتفاق بين المعجميين حول مفهوم الصناعة المعجمية؛ فمنهم من كان يرى أنها مجرد مهارة أقرب ما تكون إلى الفن، بينما يلح آخرون على إعطاء الصبغة العلمية للعمل المعجمي.

وإذا أردنا أن نؤرخ للعمل المعجمي فلا بد أن نأخذ في الحسبان أمرين، على حد ما ذهب إليه بول بوغاردس(Paul Bogaards)؛ إذ يقول:" إن البحث في تاريخ المعاجم له بعدان: تأثير المعاجم القديمة في المعاجم الحديثة من جهة، وما أدخله المعجميون الكبار من عناصر مبتكرة من جهة أخرى. ولنقل بعبارة واحدة: التقليد والابتكار." (1)

وبقيت الدراسات المعجمية تراوح مكانها عاجزة عن الابتكار والإتيان بالجديد؛ لافتقارها إلى مسار منهجي جلي المعالم، إلى غاية النصف الأخير من القرن العشرين مع صدور المجلة الفرنسية (دفاتر المفرداتية) وذلك في سنة 1959م.

وهكذا، وبعد وقت وجيز أصبحت المعجمية علما قائما بذاته؛ يقول بول بوغاردس (Paul Bogaards):" في ظرف نصف القرن أصبح للمعجم والمعجمية حقل خصب من العطاء العلمي له تقاليده ومؤسساته.(2)

ولما تكتسيه المعجمية بفرعيها النظري والتطبيقي من أهمية، فقد أصبحت لها مكانتها في المسار الجامعي في كثير من دول العالم ابتداء من سنة 1990. من تلك الدول: الدانمارك وإسبانيا والسويد وبولندا وفرنسا وبريطانيا ...

ولم يتحقق ذلك للمعجمية إلا بعد حصول تراكم معرفي كبير ساهم في تكوينه جمع كبير من اللغويين؛ فقد ذكر بول بوغاردس (Paul Boogards) أن الدراسات المعجمية قد مرت بمراحل مخاض تميزت بما يلي:

كانت الصحف تفتح صفحاتها لاستقبال بعض الدراسات المعجمية التي تتمحور بخاصة حول المادة المعجمية مركزة بخاصة على الترتيب الخارجي (Macrostructure)، وقد تتجاوزها أحيانا إلى التعرض لدراسات علمية أخرى. ومن

هذه البحوث ما كان يظهر في المجلة العالمية للمعجمية (The International Journal of Lexicography)؛ غير أنها لم تكن بالقدر الكافي، حتى تُمكن الباحثين من الخروج بنتائج واستنتاجات دقيقة.

وقام (Wiegand) (1998-2002م) بمحاولة جادة تمثلت في جمع وجهات نظر مختلفة للغويين استهدفت معجمين تعليميين باللغة الألمانية. وتُوج هذا العمل بإنتاج مؤلف واحد عقد فيه صاحبه عدة فصول، واحدا للنحو، وآخر للصرف... وهذه المحاولة، هي الأخرى، لم تعط النتائج المرجوة، على حد ما ذهب إليه الكاتب؛ وذلك لأنها تفتقر إلى خاصية الشمول.

وحاول بول بوغاردس (Paul Boogards) من جهته أن يكشف عن أهم المعوقات التي تصادف المتعلم وهو يقرأ أو يكتب نصا بلغة ثانية. ولإنجاز هذه الدراسة أجرى موازنة بين أربعة معاجم موجهة للمتعلمين باللغة الإنجليزية.

2 – من أساسيات المعجمية الحديثة

إن المعجمية، من حيث كونها مبحث علمي، وضعت بين يدي المعجمي أدوات معرفية يهتدي بها لتطوير عمله؛ من ذلك:

2 – 1 – الترتيب الخارجي والترتيب الداخلي

أدخل ري ديبوف (Rey-Debove) هذين المفهومين إلى الحقل المعجمي لأول مرة سنة 1971م.

أولا: الترتيب الخارجي يتمثل في قائمة المداخل التي يستوعبها المعجم، والتي تكون منتقاة للاستجابة للهدف الذي وضعه المعجمي نصب عينيه عند شروعه في تأليف معجمه. وهذا الاختيار الذي تمليه بالدرجة الأولى متطلبات فئة المستخدمين الذين يوجه إليهم المعجم، يوجب على المعجمي إقصاء بعض المداخل والاحتفاظ بأخرى. ويعتمد في ذلك أحيانا على الإحصاء؛ ليكون اختياره مؤسسا؛ لكن مؤشر التردد (Fréquence) لا يفضي بالضرورة إلى نتائج مقنعة؛ يقول بول بوغاردس (Paul Boogards):" إن معاجم الأطفال يمكن أن تتضمن كلمات ضعيفة التردد في اللغة برمتها أو في اللغة التي يمتلكها الطفل؛ لكن مصادفة الأطفال لها فيما يقرؤون قد تجعل إدراجها بين دفتي المعجم أمرا لا مناص منه."(3)

ثانيا: الترتيب الداخلي يتعلق بنوعية المعلومات التي يتعين على المعجمي تقديمها تحت غطاء كل مدخل، ويتخذ قرارا لتحديد شكل عرضها وكيفية ترتيبها. ومن المعلومات التي تساق ضمن الترتيب الداخلي: كيفية التلفظ بالكلمة، صنف الكلمة، تعريفها، الاستشهاد، المصاحبات (Collocations)...

ووضع الكلمة قد يطرح إشكالا؛ فهناك كلمات تتأرجح بين الترتيب الخارجي والترتيب الداخلي على غرار الكلمات المركبة والعبارات المسكوكة والأمثال... وقد ذكر بول بوغاردس أمثلة من هذا القبيل مستقاة من اللغة الإنجليزية؛ إذ يقول:" على الرغم من الاختلاف البين بين الترتيب الخارجي والترتيب الداخلي، إلا أن هناك عناصر تصلح أن تضم إلى أي الطرفين. وهذا ما يلاحظ على الكلمات المركبة، والعبارات المتعددة الكلمات ... إن الكلمات المركبة مثل: (old girl & double time) من الكلمات التي كانت منذ عهد قريب تعد مما يدخل في الترتيب الداخلي إلا أنها أصبحت تعامل في المعاجم المنتجة حديثا كعناصر من الترتيب الخارجي. (4)

ـ وهناك مصطلحان جديدان دخلا المجال المعجمي هما: (Mediostructure) ويقصد بذلك مجموع الإحالات الداخلية التي ترشد المستخدم إلى موضع تواجد معلومات ضافية تتعلق بما هو بصدد البحث عنه، وذلك مثل المرادفات، والجداول، والصور... و(Megastructure) ترشد إلى مكونات وملاحق المعجم كالمقدمة، وقائمة الرموز، والخرائط...

وقد عرف العمل المعجمي تحولات جذرية فيما أسماه ابن جني: الجمع والوضع. وهذا بفضل البحث في المعجمية وما يتصل بها من مباحث أدت إلى تيسير العمل المعجمي؛ من ذلك:

2 – 2 – التخطيط الأولي وضبط المعطيات

خلال هذه المرحلة يتم هيكلة المعطيات وجردها، ويستنير المعجمي في ذلك بتحليل مسبق لمتطلبات الفئة المستهدفة التي يوجه إليها المعجم. وتستغل هذه المعطيات في رسم صورة أولية لما يكون عليه المعجم، وفي توظيفها في تطبيقات أخرى. إن عمل المعجمي لم يعد يقتصر على إنجاز العمل الذي بين يديه فحسب؛ ولكنه يتعداه إلى التفكير في أعمال أخرى مستقبلية قد توفرت له مادتها الخام.

ومن هذا المنطلق أصبحت دور النشر تجعل من بين ملحقاتها مركزا للمعطيات يمدها بالمادة المعجمية جاهزة لبناء أي معجم يدخل ضمن اختصاصها؛ يقول لارس تراب جنسن (Lars Trap Jensen) في ذلك:" عوض نشر معاجم مستقلة بذاتها، لكل واحد منها قائمة من المداخل مرفقة بالمعلومات المرتبطة بها؛ فإن أغلب دور النشر أصبح لها مركز معطيات تستمد منه ما يدخل في إنتاج أي معجم تابع لاختصاصها." (5)

من مزايا مراكز المعطيات التابعة لدور النشر أنها تجعل التعديل الذي يقع على مادة معجم ما ينسحب على المعاجم التالية؛ هذا بالإضافة إلى أنها توفر المادة التي تعتمد لصناعة أنماط أخرى من المعاجم مما يوفر الجهد ويربح الوقت.

2 – 3 – التعريف المعجمي أنواعه وصياغته

تتزاحم في ذهن المعجمي عدة تساؤلات وهو يعد العدة للشروع في عمله؛ منها:

–ما مقدار الكلمات التي يتضمنها المعجم، وما المقاييس التي تحدد بموجبها؟

–ما المعلومات التي تنشدها الفئة التي يستهدفها المعجم؟

–ما أنجع طريقة لتعريف الوحدات المعجمية ؟

ومن بين هذه الانشغالات التي تلازم المعجمي، يعد التعريف المحطة الحاسمة في صناعة المعجم، ونجاح عمل المعجمي يتوقف بنسبة كبيرة على إجادته وإتقانه لصياغة التعريف. وقد تعددت أنواع التعاريف، وتطورت هي الأخرى مع تطور العمل المعجمي عبر العصور. وعند تعرضه للتعريف المعجمي ذكر روبارت ليو (Robert Lew) الأنماط التالية:

أولا: التعريف الأرسطي

عرف هذا التعريف منذ نشأة الحضارة الهيليـنية، ويتميز باعتماده على عنصرين:

أولهما: الصنف العام (Genus) الذي ينتمي إليه الشيء المعرف.

ثانيهما: الخصائص التي تجعل المعرف يتميز عن غيره من أفراد صنفه (Differentia specifica).

وقد ساق الباحث المثال التوضيحي التالي: المدفأة: آلة تستعمل لتسخين الماء أو الهواء. (6)

الصنف العام (Genus)	آلة
الخصائص (Differentia specifica)	تستعمل لتسخين الماء أو الهواء

ثانيا:التعريف بجملة كاملة (Full-sentence definition)

يتميز هذا النوع بأننا نجد العنصر المعرف مقحما داخل التعريف نفسه. وهذا ما يجعله يعلق في ذهن المستخدم بيسر؛ إذ يذكره بما كان يسمعه من معلمه أو من والديه. وقد وظف هذا التعريف على نطاق واسع في المعجم كوبيلد (Cobuild) حيث نجد تعريف المدفأة على النحو التالي:" المدفأة هي قطعة من الأجهزة أو آلة تستعمل لرفع درجة شيء بخاصة الهواء داخل الغرفة أو السيارة ." (7)

مما يؤخذ على هذا التعريف أنه يسرف في استعمال الكلمات، وأنه يميل أحيانا إلى التعقيد، كما يوظف عبارات معهودة لدى المعجميين؛ لكنها في كثير من الأحيان يكتنفها الغموض عند نسبة كبيرة من المستخدمين.

ثالثا: التعريف بالعبارة الوحيدة (Single clause defining)

يوظف في تعريف الأسماء المجردة بخاصة تلك التي لا تنتمي إلى صنف بعينه (Genus). وقد أوضح الباحث ذلك بالمثال التالي الخاص بتعريف (التدمير Destruction).

يمكن تعريف التدمير كالتالي: الفعل أو عملية تدمير شيء، أو كون الشيء تعرض للتدمير." وينص التعريف الذي نحن بصدد الحديث عنه على ما يلي:" التدمير: عندما يتعرض شيء للتدمير"

وبهذه الكيفية نكون قد خففنا التعريف وتحاشينا التعميم وحذفنا: الفعل وعملية تدمير شيء

مما يلاحظ أن هذا التعريف لا يتعرض لشرح كلمة (تدمير)، وكأنه يعتبرها من المسلمات. وقد علق الباحث (روبارت ليو) على هذا التعريف قائلا:" من المحتمل أن تلك الكلمات ذات الدلالة العامة لا تسهم في الوقوف على المعنى الحقيقي للكلمة المشروحة ؛ لكنها ـ على أدنى تقديرـ تشير إلى أن الكلمة قد حدد مجال دلالتها؛ وهذا ما لا يؤديه التعريف بالعبارة الوحيدة (Single clause defining). تأدية كاملة." (8)

رابعا: التعريف بالمرادف

يلجأ بعض المعجميين إلى هذا النمط من التعريف، وذلك بالنص على مرادف أو أكثر للكلمة المشروحة. وكثيرا ما نجده في المعاجم الثنائية؛ بحيث يسود الاعتقاد أن هناك نوعا من المطابقة بين الكلمة ومرادفها، وإن كان بعض اللغويين يرفضون وجود المرادف أصلا. أما في المعاجم الثنائية فالأمر يتعلق بالمطابقة بين كلمات من لغات مختلفة.

وفي شأن صلاحية هذا التعريف يقول الباحث:" إذا كان المدخل المعجمي قد ثبت أن له مرادفات قد أقرها الاستعمال، فإنه لا مانع من اعتماد هذا النمط من التعريف؛ وفي غير ذلك من الحالات فإن كثيرا من المعجميين يترددون في العمل به." (9)

إلى جانب ما ذكرنا من التعاريف هناك أنواع أخرى ذكرها الباحث بإيجاز وهي: التعريف عن طريق الاشتقاق (Morphological definition) الذي قد يتناسب مع المثال التالي:" المتكبر: المتصف بالكبر." والتعريف الموسع

(Extensional definition) كالمثال التـالي: " البقـول: بذور كالفاصوليا و الحمص والبازيلاء. والتعريف بالإشارة (Ostensive definition) كالتعريف الموالي الذي ذكره الباحث: " الأسود: اللون الظاهر على الصورة." (10)

2 – 4 – المعـاني داخل الترتيب الداخلي

إن المعاني التي تساق في إطار الترتيب الداخلي لا تأخذ مكانها اعتباطا؛ ولكنها، هي الأخرى، ترتب وفق معايير معينة ؛ منها:

أولا: الـترتيب الزمني

يتم ترتيب المعاني حسب ظهورها عبر المسار الزمني انطلاقا من أقدم معنى إلى آخر المعاني ظهورا. وهذا الترتيب يناسب بخاصة المعاجم التاريخية؛ وإن كنا نجده كذلك مطبقا في غيرها من المعاجم.

ومشيرا إلى ما يؤخذ على هذا الترتيب، يقول روبارت ليو (Robert Lew): مما هو ثابت أن مستخدمي المعجم غالبا ما يكتفون بقراءة المعنى الأول، ولا يلتفتون لما سواه. ووضع معنى قد عفا عنه الزمن في مطلع المادة المعجمية لا يخدم مستعملي المعجم. وللحيلولة دون ذلك يرى بعضهم أن تنقل المعاني القديمة إلى ذيل الترتيب." (11)

ثانيا: الترتيب بمراعاة المعاني الموسومة (Markedness)

المعاني التي لا تستعمل على نطاق واسع، تكون محصورة جغرافيا وعمليا واجتمـاعيا توضع في المعجم بعد تلك المعاني العامة الاستعمال. إن هذا الترتيب غير عملي؛ لأن كثيرا من المعاني تكون جديرة بأن توضع في الرتبة الأولى، وهي بذلك غير ذات جدوى إذا رمنا من خلالها تقديم معنى على آخر. وما قد تفيد فيه هو حصر المعاني المحدودة الاستعمال قصد استعمالها في أغراض أخرى.

ثالـثا: الترتيب باعتبار نسبة التردد (Frequency)

تجرى دراسة قبلية يتم بموجبها حساب نسبة تردد المعنى في الاستعمال اللغوي، ثم ترتب المعاني تنازليا وفق نسبة ترددها؛ وبهذا النسق تضم إلى المعجم. لكن هذا الترتيب لم يرض جل المعجميين ما دام المعنى الذي يوضع في المقدمة يكون عادة مبتذلا ومعروفا لدى جل المستخدمين، وبالتالي يتطلب البحث في المعجم الاطلاع على مزيد من المعاني.

رابعـا: التـرتيب المنطقي(Logical ordering)

إن المعجم ليس فضاء تعم في الفوضى وتسير في الأمور سبهللا؛ ولكنه مجال له نظام خاص تتقيد به مختلف مكوناته، منها المعاني، التي رأى بعض المعجميين أنه يمكن جمعها حول معنى مركزي؛ يقول روبارت ليو (Robert Lew) متحدثا عن أهمية هذا الترتيب:" حتى يتسنى للمتلقي إلقاء نظرة شاملة على المعاني يعكف المعجميون على تقديم ما يدخل منها في ارتياطات دلالية . وتكمن أهمية هذا الترتيب في أنه يكشف عن أصل كثير من المعاني، وأنه يبرهن على طبيعة العلاقة التي تربط بين المعني الفرعي والمعنى المحوري.

وبعد هذه الإطلالة على جانب من البحث في المعجمية فإن مكانتها بين المباحث اللسانية لم يفصل فيها بعد؛ فمن الباحثين من يرى أن المعجمية فن، وما دامت كذلك، فهي تأبى الاعتماد على النظريات، التي هي من خصائص العلوم. لكن هذا الزعم لا يعضده الواقع؛ فهناك فنون ترتكز على النظريات كتصميم الجسور، وفن الترجمة التي لها علاقة وطيدة

بالمعجمية. إن المترجم يجد نفسه أمام اختيارات متعددة لترجمة نص ما وهو بتفضيله لترجمة ما يكون قد غلب نظرية على أخرى؛ وهذا ما يقوم به المعجمي عندما يبني معجمه على نموذج سابق .

إن التطور الذي بلغته المعجمية عند الغرب، هو الذي أحدث تلك الطفرة النوعية في عالم المعجم، بينما بقي المعجم العربي متخلفا عن الركب إلى أن جاء عصر النهضة، ونهض معه أعلام بذلوا ما في وسعهم لإعادة إلى المعجم العربي مكانته التي تليق به.

3 – حركة العمل المعجمي العربي في عصر النهضة

بعد فترة الركود الطويلة التي عاشها العالم العربي والإسلامي، تعالت أصوات بعض الأعلام الغيورين على مقومات الحضارة العربية الإسلامية، فأخذوا على عاتقهم إحياء التراث العربي، ولم يروا مانعا من استثمار ما توصل إليه الغرب في مختلف المجالات العلمية. كان ذلك إيذانا بانطلاق ما عرف بعصر النهضة الذي بدأ عند البعض سنة 1798م مع حملة نابليون على مصر، بينما يرى آخرون أن البداية كانت في سنة 1832م وانتهت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م.

وقد رصد فرحات الدريسي في بحث له تحت عنوان (منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر) ثلاثة اتجاهات:

أولهـا: الاتجاه الذي يمثله رفاعة رافع الطهطاوي (1873م) الذي يعد من أبرز رواد عصر النهضة الذين تركوا بصماتهم في خدمة المعجمية العربية، بعدما أدركوا مدى ضلوع المعجم في بناء صرح حضارة الأمم.

عاش الطهطاوي فترة من حياته بفرنسا بعدما عين على رأس بعثة من الطلبة المصريين ليتولى مهمة الإمامة والوعظ. وهذا ما أتاح له استغلال تواجده بفرنسا ليقبل هو الآخر على التزود من العلوم التي لم تكن متاحة للطالب المصري في بلاده. وعلاوة على ذلك مكنته هذه الفرصة من أن يرى بأم عينه تفاني المواطن الفرنسي في العمل من أجل الرفع من مستوى بلاده اجتماعيا واقتصاديا وصناعيا وعلميا، ودون ذلك في مؤلف له صدر سنة 1940م بعنوان (تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز). مما قاله في هذا الكتاب مبديا إعجابه بفرنسا وشعبها:" الذي يظهر لمن تأمل في أحوال العلوم والفنون الأدبية والصناعية في هذا العصر بمدينة "باريس" أن المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت أوجها بهذه المدينة، وإنه لا يوجد من حكماء الإفرنج من يضاهي حكماء باريس بل ولا في الحكماء المتقدمين كما هو الظاهر أيضا."(12)

ومن بين المواضيع التي استوقفته: تخلف المعجم العربي عما هو جار به العمل في فرنسا، حيث نجد العمل المعجمي يحظى باهتمام السلطات العمومية التي أنشأت هيئات تسهر على النهوض به كأكاديمية فرنسا التي قال الطهطاوي في شأنها:" فأول علماء باريس بل وعلماء فرنسا ديوان العلوم المسمى أكدمة الفرنسيس وأهلها أربعون عالما كل واحد من الأربعين يسمى عضوا ... وفي الغالب أن أرباب هذا الديوان لهم فضل عظيم على من عداهم من الفرنساوية ووظيفتهم تأليف القواميس الفرنساوية وأنهم يمتحنون مؤلفات العلوم الأدبية وكتب التاريخ." (13)

ولعل أهم ما ميز عمل الطهطاوي المعجمي أنه نقل عدة مؤلفات فرنسية من علوم مختلفة إلى اللغة العربية، وكان يذيلها بملحقات يجمع فيها المصطلحات وما يقابلها في اللغة العربية، إن وجد، وإلا اجتهد في تعريب اللفظ الفرنسي، وقد يلجأ أحيانا حتي إلى استعارة اللفظ من الكلام العامي. وفي هذا المضمار نقرأ في التعليق الملحق بمؤلف الطهطاوي (تخليص الإبريز

في تلخيص باريز) ما يلي :"وأخيرا نكتشف اهتمام المعلم الأول (الطهطاوي) باللغة، سواء عن طريق إثرائها مباشرة بالترجمة، وإحيائها لكي تتمكن من استيعاب تلك العلوم والمعارف التي لم تستخدمها أبدا طوال ألف سنة، والتي تطورت وتشعبت بشكل هائل طوال تلك القرون العشرة، أو عن طريق تحديد المصطلحات العلمية الجديدة وتوحيدها عن طريق وضع القواميس الخاصة في نهاية كل كتاب مترجم." (14)

وأما المنهجية التي اتبعها الطهطاوي عند وضع المصطلحات؛ فهي تتمثل في أنه يعتمد بالدرجة الأولى على الفصحى لإيجاد أو صياغة المصطلحات، فإن لم يسعفه ذلك لجأ إلى اللهجة العامية، فإذا لم يجد في العامية بغيته كتب المصطلح الأوروبي بالحروف العربية كما هو.

ومن بين هذه السبل، كان الطهطاوي يرى أنه لا مناص من اللجوء إلى التعريب لحل إشكالية وضع المصطلحات في اللغة العربية؛ إذ يقول:" لما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية فلم ترتب حتى الآن في كتب اللغة العربية، وكان يتوقف فهم هذا الكتاب عليها عربناها بأسهل ما يمكن التلفظ به فيها على وجه التقريب، حتى إنه يمكن أن تصير على مر الأيام دخيلة في لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية واليونانية." (15)

وهو يرى أن عبء تحديث المعجم العربي يقع بالدرجة الأولى على عاتق المترجمين؛ لأنهم يلمسون أكثر من غيرهم فداحة الفراغ الذي يترتب عن افتقار لغة ما إلى مصطلحات تؤدي معاني لغة أخرى. وهذا ما جعله يدعو المترجمين العرب إلى أن يحذوا حذوه؛ لتصبح اللغة العربية قادرة على استيعاب كل ما جد عند الغرب؛ إذ يقول:" ولو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب ترجم في دولة أفندينا...لانتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجا(ء) ونظمها في قاموس مشتمل على سائر الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك، فإن هذا مما يفيد التسهيل على الطلاب، وبه تحصل الإعانة على فهم كل علم أو كتاب". (16)

ثانيها: ظهرت طائفة أخرى من اللغويين كرسوا جهودهم من أجل إحياء المعاجم العربية القديمة، وجعلها في متناول الإنسان العربي مهما كان مستواه التعليمي. قام هؤلاء الأعلام بطبع أمهات المعاجم القديمة، ونشرها على نطاق واسع، وأعاد بعضهم النظر في ترتيب مادتها حرصا منهم على تيسير الرجوع إليها على القارئ العربي. وقد أطلق فرحات الدريسي اسم (السلفية اللغوية) على كل من تعامل مع التراث بهذا النحو؛ إذ يقول:" وينزل هذا الضرب من النشاط المعجمي في موقف تراثي قد يعبر ـ في ظاهره ـ عن سلفية لغوية اتخذت من إحياء المعاجم موقفا فكريا صفويا دفاعيا لعله يقابل موقف الطهطاوي وجماعته." (17)

ثالثها: اتخذ بعض اللغويين موقفا معتدلا، بحيث أنهم حاولوا أن يدخلوا المعجم العربي في الحداثة دون أن يتنكر لماضيه المشرق. يأتي في طليعة هذا المنحى كل من بطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق ورينهارت دوزي (Reinhart Dozy) (1883م) .

ونظرا لما يتميز به هؤلاء الأعلام من مكانة علمية، فقد كان لهم الفضل في توفير الأرضية الصلدة التي سيقام عليها المعجم الذي يستجيب لطموح الإنسان العربي؛ يقول فرحات الدريسي في معرض حديثه عن العمل الذي أنجزه أصحاب هذا الاتجاه:" ولئن تجرأ أصحاب هذا الموقف على نقد المعجم العربي في مواطن عديدة فإن صناعتهم المعجمية كانت ضربا

من ضروب التوفيق بين النزعة الإحيائية المقيــدة بماضي المعجم العربي وبين نزعة التحرر، أو التجديد المطلقة التي نهجت الاقتــراض اللغـوي." (18)

وقد أثمرت الجهود التي بذلت بخاصة في توثيق العلاقة بين الطالب العربي والمعجم؛ وذلك بتذليل العقبات التي كانت منفرة لمستخدمي المعاجم القديمة، ومن أعقدها ترتيب المادة المعجمية؛ ولكن هذا لا يعني البتة أن المعجم العربي المؤلف في عصر النهضة قد انسلخ عن ماضيه، وإنما هو معجم جعل المعاجم القديمة مرجعية له مع إدخال بعض التعديلات التي أدرك المعجميون بفضل تفتحهم على الحضارة الغربية أهميتها خدمة للغة ولمتعلميــها. وهكذا نجد القاموس المحيط للفيــروزآبادي من المعاجم التي تأثر بها كثير من المعجميين على غرار بطرس البستاني (1883م)

الذي يقول في ذلك:" هذا المؤلف (محيط المحيط) يحتوي على ما في محيط الفيــروزآبادي الذي هو أشهر قاموس للعربية من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها من كتب القوم... " (19)

واستقى الشرتوني (1912م) هو الآخر من القاموس المحيط قدرا كبيرا من المادة المعجمية التي ضمها إلى معجمه (أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد) بالإضافة إلى ما اقتبسه من معاجم أخرى .

4 – أهم المعاجم في عصر النهضة

وبناء على المدة الزمنية التي استغرقها عصر النهضة، يمكن أن نعد المعاجم الواردة في الجدول التالي من ثمراتها :

المعجـــم	المـــؤلف	سنة الطبع
قطر المحيط	بطـرس البستاني	1869م
أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد	سعيد الشرتـوني	1889م
محيط المحيط	بطـرس البستاني	1896م
معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية	جـرجس الشويـري	1907م
المنجـد في اللغة	لويس معلوف	1908م

ومن بين المعاجم لمذكورة آنفا ستنعرف بصورة مقتضبة على بعضها فيما يلي:

– **قطــر المحيط**: هو مختصر لمؤلف بطرس البستاني السابق (محيط المحيط) . تعرض البستاني للدوافع التي أملت عليه تصنيف هذا المعجم؛ فبعد بيان الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية في عصره، والذي يتسم بالركود والتخلف عما بلغته لغات أخرى من الرقي ومجاراة لروح العصر، وما زاد الطين بلة إعراض أبنائها عنها وهي على تلك الحال ؛ يقول البستاني في ذلك:" وكان أمر تحصيلها (اللغة العربية) وتسهيل أسبابه من مرغوب من اتصف بالحماسة الوطنية والحمية العربية رأينا أن نضع فيها هذا المؤلف على وجه هين المراس سهل المأخذ ليكون للطلبة مصباحا يكشف لهم عما أشكل عليهم من مفردات اللغة التي معرفتها عند المحققين هي نصف العلم لأن إفادة العلم واستفادته تتوقفـــان عليها. وقد سميناه قطر المحيط لأن نسبته إلى كتابنا المطول في هذه الصناعة المسمى محيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها." (20)

-المنجـــد في اللغة : ألفه لويس معلـوف، له طبعات كثيرة من بينها الطبعـة الحادية والعشـرون التي صدرت سنـــة1981م حيث ينقسم هذا المعجم إلى قسمين:

- القسم اللغوي ألفه لويس معلوف سنة 1908م، يقع هذا القسم في 928 صفحة، بالإضافة إلى ملحق عدد صفحاته 38 صفحة.

- قسم الأعلام وضعه فرنـارد توتل سنة 1956م

يعد هذا المعجم من أوسع المعاجم انتشارا إن لم يكن أوسعها على الإطلاق؛ فقد صدرت منه ما يزيد عن أربعين طبعة. غير ان الذي يؤخذ على هذا المعجم أن فيه تحيز بيّن إلى النصرانية.

5 – المعجـــم العربي بعد عصر النهضة

أنشئت مجامـع لغوية عربيـة على غرار مجمع اللغـة العربية بمصر، الذي ظهرت فكرة إنشائه سنة 1892م، وتأسس رسميا سنة 1932م، والمجمـع العلـمي العربي بدمشـق سنة 1919م، والمجمـع العلمي العربي ببغداد سنة 1921م، ومجمـع اللغـة العربية الأردنـي بعمان سنة.1976م وكان على رأس المهام المنوطة بهذه المجامع النهوض باللغة العربية؛ وذلك بإنجاز معاجم حديثة تلبي متطلبات الإنسان العربي. وللاضطلاع بهذه المهمة قام المجمع اللغوي المصري ـ على سبيل المثال ـ بتكوين مجموعات عمل تضم ثلة من كبار اللغويين تعمل على إنجاز مشروع المعجم الذي يعتزم المجمع اللغوي إصداره. وتنظم المجامع نشاطات دورية تتمثل في المـؤتمرات التي تقام للبحث في قضايا المعجم المختلفة.إلى جانب ذلك قام بعض المعجميين بإنجاز معاجم معولين على جهودهم الخاصة، ومتشبعين بما استقوه من معارف معجمية بفضل اتصالهم بالحضارة الغربية.

وقد أحصى عفيف عبد الرحمن في بحث له بعنوان (من قضايا المعجمية المعاصرة) جل المعاجم التي ظهرت حديثا والتي سنسوقها في الجدول التالي:

المعجم	المـؤلف	سنة الطبع
المعتمد فيما يحتاج إليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة العربية	جرجي شاهين عطيه	1927م
البستان	عبد الله البستاني	1930م
فاكهـــة البستان	عبد الله البستاني	1930م
متن اللغـــة	أحمد رضا	1959م
المعجم الرائد	جبـــران مسعود	1992م
المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	1960م
المعجم الكبير	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	1970م
المرجع (علمي ـ لغوي)	عبدالله العلايلي	1963م

ما يميز العمل المعجمي الحديث أن هناك هيئات ومؤسسات دولية عربية كالمجامع اللغوية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أخذت على عاتقها مهمة إنجـاز أمهات المعاجم الحديثة؛ وسنتوقف عند المعجم الكبير الذي يعد من أهم ما أنجزه مجمع اللغة العربية بمصر.

5 – 1 – المعجم الكبيـــر

كان الهدف من وراء إنتاج هذا المعجم ملء الفراغ الذي طالما شغل بال اللغويين العرب، والذي يتمثل في حاجة التراث اللغوي العربي إلى معجم تاريخي. إن المتصفح لهذا المعجم يتبين له أن مؤلفيه اتبعوا منهجيتيـن: اعتمدوا الطريقة التي جاءت وفقها بعض العاجم القديمة من جهة، وتأثروا بما جعل أمهات المعاجم الغربية تحتل الصدارة من بين عدد لا يحصى من المعاجم في العالم من جهة أخرى.

حاول مؤلفو هذا المعجم أن يجمعوا ألفاظ المادة الواحدة تحت المعاني العامة التي تشترك فيها، ووضع تلك المعاني مرقمة في صدر المادة. وإذا كان هذا المعجم قد وفق إلى حد ما في تأصيل الألفاظ العـربية بربطها بمثيلاتها في اللغات الفارسية والسريانية واليونانية وغيرها، فإنه مع ذلك لم يتمكن من تجسيد الهدف الأساسي الذي رام تحقيقه، والذي يتمثل في أن يكون بديلا عن المعجم التاريخي للغة العربية للمستشرق الألماني أوغست فيشر(August Fischer) (1949م) والذي ضاع في خضم الأحداث التي عرفتها ألمانيا في زمنه، ووفاة المؤلف قبل أن يتمكن من طبعه .

ومما يمكن أن نستخلصه بعد هذا أن المعجم الكبير يعد قطيعة مع كثير من الممارسات التي ترسخت في العمل المعجمي منذ ظهوره، وذلك يتجلى فيما أدخل عليه من مظاهر التحديث ؛ منها:

– توظيف الرمـوز والمختصرات، منها ما جمع في الجدول التالي:

◯	إشارة إلى المادة الفرعية
●	رأس الكلمة المفسرة
ـــ	لتفادي تكرار الكلمة المذكورة سابقا
ـُـ	ضبط عين المضارع

- ترقيـم المعاني التي تدور حولها المادة وما اشتق منها.
- كتابة الألفاظ غير العربية والتي قد تمت بصلة إلى الألفاظ العربية بحروف تلك اللغات.
- دعم تعريف الألفاظ بالرسوم .والصور والخرائط .
- تفتح المعجم على العلوم الحديثة بإدراج كثير من مصطلحاتها.

–المعجم ثمرة جهد جماعي بذلته طائفة من كبار الأدباء واللغويين والتخصصين في اللغات السامية وغيرها؛ يقول إبراهيم مدكور في مقدمة المعجم:" قلّ أن يحظى معجم بمثل ما حظي به هذا (المعجم الكبير) من درس متصل، ومراجعة دقيقة، ومتابعة واعية، يعـد مادته محررون دربوا في كنف المجمع وتحت إشرافه، ويراجعها متخصصون لهم قدم راسخة في اللغة وعلومها، وفي اللغات السامية والفارسية والتركية." (22)

- توسيع دائرة الجمع اللغوي بحيث أصبحت تمس الإنتاج الأدبي بمختلف أشكاله وأنواعه.

وقد نوه إبراهيم مدكور بإنتاج المجمع قائلا:" إن هذا العجم لون جديد في عالم المعجمات العربية، فيه تأصيل وتحقيق، وجمع واستيعاب، ورجوع إلى المصادر الأولى، وتعويل ما يمكن على النصوص الثابتة، وقد عني فيه عناية خاصة بالوضوح والدقة، فرتب ترتيبا دقيقا، وبوب تبويبا سهلا، والتزم الترتيب الحرفي، ولكن في حدود المادة اللغوية، تمشيا مع طبيعة العربية وأنها لغة اشتقاقية. وصيغت التعريفات في عبارة مختصرة وأسلوب سهل، ووضحت النصوص المأثورة والشواهد المعقدة، واستخدمت الرسوم والصور والخرائط، وما كان لنا أن نتوسع فيها في معجم لغـــوي". (23)

– النصوص المستشهد بها متنوعة منها القديم ومنها الحديث، محاولة من مؤلفي المعجم أن يكون مرآة عاكسة للغة عصره؛ وهو يراعي بذلك الجانب الآني للغة (Synchronie)

5 – 2 – مقتطف من المعجم الكبيـــر

من مادة (ب ح ر)

1– الشق 2 – الانبساط والسعة 3 – داء

قال ابن فارس : " الباء والحاء والراء .قال الخليل : سمي البحر بحرا لاستبحـاره، وهو انبساطه وسعته، والأصل الثاني: داء ".

*بحر الرجل الحفرة ـَ بحرا: وسعها.

وفي خبر عبد المطلب أنه :" حفر بئر زمـزم ثم بحرها بحرا حتى لا تنــزف.

و ـــ الشيء: شقـه.

و ـــ الناقة والشاة: شــق أذنها طولا.

*بحِر فلان ـــ بحرا: رأى البحر ففرق ودهش، فهو باحر وبحر.

و ـــ : تحير من الفزع فلم يبـــرح مكانه.

و ـِ : أصابه الدوار من البحر

.....

*أبحر الرجل: ركب البحر.

ويقال: أبحرت السفينة: أقلعت (محدثة).

و ـــ الأرض: كثرت مناقع الماء فيها.

و ـــ الماء: صار ملحا، قال نصيب:

وقد عـــاد ماء الأرض بحـرا وزادني إلى مرضي أن أبحر المشرب العـذب

*البحـر: الماء الواسع الكثير، ويغلب إطلاقه على الماء الملح.

ويقال رجل بحر: واسع العلم، أو سخي كثير العطاء؛. قال المتنبي ـ يذكر دخول رسول ملك الروم على سيف الدولة:

فأقبل يمشي في البســاط فما درى إلى البحر يمشي أم إلى البـدر يرتقي

*البحَر: اصفــرار اللون.

و ـــ : داء يورث السـل.(24)

مما يستخلص من هذه العينة من (المعجم الكبير) أن هناك طفرة نوعية كبيرة قد تجلت في العمل المعجمي العربي بفضل تضافر جهـود لغويين على جانب كبير من الكفـاءة في هذا المجال والذين قد اطلعـوا على ما بلغتـه المعجميـة والمفرداتية من تطور عند الغرب.

. ونسجل كذلك أن هذا النمط من المعاجم لم يتخلص من بعض النقائص التي لا يكاد يخلو منها معجم من المعاجم القديمة؛ من ضمنها الاعتماد في الاستشهاد على الشعر، وانتهاج طريقة الرواية لإسناد بعض الأقوال، وإقحام المعلومات الموسوعية داخل المعاجم اللغوية، كما نستشف ذلك من التعريف التالي الذي جاء في المعجم الكبير:

بجـاية: مدينة شهيرة بالجزائر، تقع على خليج جميل في البحر المتوسط، أسسها الفينيقـيون وسموها " صلدة"، وسماها الرومانيون بعدهم "صلداي"، ثم خربت بيد الوندال والبربر، وجددها الناصر الحمـادي في منتصف القـرن الخـامس الهجـري، فكانت تسمى " الناصـرية " كما تسمى " بجايـة " باسـم القبيـلة البربريـة التي كانت تخيـم حولها، وصـارت عاصمـة الدولـة الحمـادية، فازدهـرت، وفي عهـد الموحـدين كانـت أشهـر مدينـة في الغـرب الأوسـط، وألف الشيـخ أبو العبـاس الغبـريني المتـوفى (714هـ) في تاريخها ومن نبغ فيها من العلماء كتابه " عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " (25)

وختاما يمكن إبداء الملاحظات التالية:

-إن المعجم العربي له ماض عريق فيه ثروة لغوية وفكرية قمينة بالنهوض بالعمل المعجمي العربي.

-المعجمية مبحث له صلة وثيقة بصناعة المعجم، وتطور المعجم مرهون بإلمام المعجميين بمستجداتها.

-المعجم العربي بعد عصر النهضة قد أخذ يتحرر من كثير من قيود الماضي التي لا تنسجم مع العمل العجمي كذكر الأسانيد، والإفراط في الاستشهاد بالشعر... وأصبح يحمل ملامح التجديد التي مسته بفضل احتكاك المعجميين العرب بالغرب.

-التطور الذي يشهده المعجم العربي هو نتيجة غيرة بعض الأعلام العرب على لغتهم؛ مما دفعهم إلى بذل الجهود لإخراجها من حالة الركود التي كان غارقا فيها.

التهميش

1 Paul Bogaards, a history of research in lexicography. In Howard Jackson, The Bloomsbury companion to lexicography academic, London, England, 2013, P.21

2 ibid,P.21

3 Ibid, P.24

4 Ibid,P.24

5 Lars Trop Jensen,Researching Lexicographical Practice, in Howard Jackson, The Bloomsbury companion, P.36

6 Robert Lew, identifying, ordering, and defining, senses, in Howard Jackson, The Bloomsbury companion to Lexicogaphy, Bloomsbury academic, 2013, PP.291-93

London, England

7 ibid,P.297

8 Ibid, P.297

9 Ibid,P.298

10 Ibid;P.298

11 Ibid,PP.291-92

12 رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبـــريز في تلخيص باريـــز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافـــة، مصر، 2012 م،ص. 178

13 المرجع نفسه، ص،185

14 المرجع نفسه، ص،217

15 رفـاعة الطهطاوي، قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخـر، دار الطباعة العامرة ، القاهرة ، مصر 1833م ، ص.217.

16 المـــــرجع نفســـه، ص.217

17 فرحات الدريسي، منزلة الحركة المعجمية في القرن التاسع عشر (مقال)، في المعجميـة العربيـة المعاصرة ، جمعيـة المعجميـة العربيـة بتونس 1986م، دار الغـرب الإسلامي، ص 242

18 المـــرجع نفسه، ص.243

19 بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان،1987، ص.5، بيروت، لبنان

20 بطرس البستاني، قطـر المحيط، 1869م، ص. 2، بيـــروت، لبنان

21 عفيف عبد الرحمن، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، (مقال) في المعجمية العربية المعاصرة ، جمعية المعجمية العربية بتونس، دار الغرب الإسلامي1987م، ص. 383، بيروت، لبـــنان

22 مجمـــع اللغة العربية، المعجـــم الكبيـــر، دار الكتب المصرية، 4/1

23 المـرجع نفسه، 7/1

24 المرجـع نفسه، 2/ 92 ـ 95

25 المعجـــم الكبير، 82/1